فعاليات يوم الثقافة الوطنية لعام 2017/ وزارة الثقافة الفلسطينية

عنوان الفعالية

دور التراث في حماية وتعزيز الهوية الوطنية الفلسطينية

عنوان ورقة العمل

**اثر ممارسات الاحتلال في تهويد التراث على الهوية الوطنية الفلسطينية**

الباحث :- الدكتور حسن محمد نعيرات

كلية الفنون الجميله –جامعة النجاح الوطنية

مقدمة:-

قبل ان نتحدث عن دور التراث في حماية وتعزيز الهويه يجب ان نتعرف على معنى التراث الذي نحتفل به ,وتحتفل بهذه المناسبة كل عام وزارة الثقافة من خلال تنفيذ فعاليات في محافظات الوطن لاحياء التراث والحفاظ عليه خوفا من النسيان والسرقة والتزوير في ظل الظروف التي تمر بها قضيتنا الفلسطينية ، حيث يمكن ان نعرفه ببساطة : هو كلمة مأخوذة من ارث ، حيث انه مجموع ما انتجته الحضارات السابقة التي يتم توارثها من السلف الى الخلف سواء كانت في ميادين العلم او الفكر او اللغة او الادب بالاضافة الى النواحي المادية والوجدانية والتي تدل على ماضي وتاريخ هذه الامة وحضارتها (اي كل ما يمت للقديم)ويذكر ان التراث هو ليس طابع او خصوصية قومية فقط بل هو اعمق من ذلك فهو يعبر عن التاريخ المادي والمعنوي لحضارة معينة ،فكثير من الحضارات التي سكنت فلسطين قد ولت الا ان تراثها هو الوسيلة الوحيدة او البصمة المميزة التي اعطت تلك الحضارات شخصيتها ،واستطعنا ان نستدل على عظمة هذه الحضارات من خلال مبانيها او اساطيرها المنقولة التي وصلت الينا ،فقد قسم التراث الى عدة انواع:

اهمها **التراث الملموس**: والذي شيده الاباء والاجداد سواء كانت عمارات او اسواق او حمامات او حرف يدوية وصناعات تقليدية بالاضافة الى الفنون الشعبية ،ان اهمية معرفة التراث تعود الى دوره في تعزيز الهوية الفلسطينية ، فالهوية التي تجمع ما بين افراد الامة والتي لها تاريخ عميق وماضي وثقافة مرتبطة جذورها بشكل اساسي بالارض التي ورثناها عن الاباء والاجداد وهي دلالة على حقنا الشرعي ،ولدينا القدرة على حمايتها من اي محاولات من قبل الكيان الصهيوني لنسب التراث الذي لدينا لهم ، ومن خلال كتابه (ذاكرة جديدة) ذكرفي كلمته هيرتسل امام مؤتمر بال في سويسرا عام 1897 (اننا هنا لنضع حجر الاساس في بناء البيت الذي سوف يأوي الامة اليهودية ) حيث بدات العمليات المنظمة لتهجير اليهود الى فلسطين على الرغم من قناعتهم بانهم يحتاجون الى فترة طويلة لخلق كيان جديد ،حيث بقيت لديهم مشكلة الهوية الثقافية وامكانية ربطها بما هو موجود على الارض الفلسطينية من تراث انساني ،وقد غاب عن ذاكرتهم التركيبة الاجتماعية لما يسمى بالدولة الجديدة والتي تحوي مزيجا من ثقافات لجماعات متعددة الاصول.

حيث ان الهوية الثقافية للشعوب تتشكل من عدة عناصر اهمها التراث والتاريخ الشفوي والمادي والاثار العمرانية والعادات والتقاليد ،فجميعها موجودة وشاهدة على قدم العرب والمسلمين على هذه الارض وهي الحلقة المفقودة في مكونات هذه الدولة اليهودية المزعومة .

ان تراثنا وثقافتنا تتعرض الى مخاطر كبيرة ومستهدفه بشكل مباشروغير مباشر من اجل انهاء قضية هذا الشعب حيث شكلت مقولة رئيس حكومة الاحتلال الاسبق ديفيد بن غوريون

( الكبار يموتون والصغار ينسون ) هو اساس منظم وممنهج يستهدف الانسان الفلسطيني في كل مكان بغرض تفريغ مخزون الذاكرة الفلسطينية من خلال سرقة الموروث التراثي ،وكانت هناك محاولات كثيرة للسرقة منها الكوفية الفلسطينية المعروفة حيث جعلها المصممان الاسرائيليان جابي بن حاييم وموكي هرنيل علم اسرائيل ونجمة داود في محاولة لسرقتها ، ومن ثم ارتدت زوجة موشي ديان ثوبا فلسطينيا زاعمة انه تراث اسرائيلي ، وكذلك ارتدت (رؤوفيه روبن ) أول سفير لاسرائيل في دولة رومانيا الزي الشعبي الفلسطيني باعتباره زيا توراتيا ، وارتداء الاسرائيليات فستان العروس الفلسطينية في بيت لحم المعروف بثوب الملكة ، حتى النباتات والاشجار لم تسلم من التزوير حيث اختارت اسرائيل زهرة شقائق النعمان وشجرة الزيتون لتمثلها في حديقة الورود التي اقامتها الصين بمناسبة الالعاب الاولومبية عام 2008 م، وكذلك سرقة الماكولات الفلسطينية حيث شاركت في مسابقات عالمية لطهي اطباق فلسطينية وتسويقها على انها اكلات شعبية اسرائيلية، بالاضافة الى سرقة الفولكلور الفلسطيني سواء تقديم حفلات عالمية بالزي الشعبي الفلسطيني وتأدية الرقصة والدبكة والعزف والالحان الفلسطينية والعربية الاصيلة والعزف على الشبابة والايرغول وبعض الاغاني الشعبية الفلسطينية بلكنة عبرية .

اذ استوقفني حدث في احد الجامعات الامريكية حيث يدرس عدد من الطلبة الفلسطينين من بينهم طالبة ترتدي الشال الفلسطيني المطرز، وكانت المحاضرة تتطلب ان يشرح الطلبة تجربة شخصية من حياتهم وحين جاء دور هذه الطالبة بدأت بالحديث عن فلسطين والاحتلال والحواجز وما يحدث من انتهاكات لحقوق الانسان ،ولكن اثار استغراب الحاضرين كان حديثها عن سرقة وتزوير التراث الفلسطيني ،حيث وضحت لهم ان الاحتلال يستخدم التراث الفلسطيني على انه اسرائيلي وعلى سبيل المثال الثوب الفلسطيني والشال الفلسطيني حيث ان مضيفات الطيران الاسرائيلي يرتدين الثوب والشال الفلسطيني المطرز, وقد تفاجأ هذا المحاضر بهذه المعلومة فقد اعتاد ان يسافر على متن خطوط شركة العال الاسرائيلية وكان يشاهد المضيفات يرتدين هذه الاثواب والشالات المطرزة وكان يظن انه تراث اسرائيلي ، فهناك العديد من الطلبة الفلسطينين الذين يدرسون في الخارج عليهم ان ينتهزون اي فرصة ليفضح ممارسات الاحتلال بمحاولة تهويد الارض وسرقة وتزوير وطمس تراث وتاريخ هذا الشعب الذي يستحق الحياة .

ان ما اقدمت عليه السياسة الاسرائيلية من سياسات ممنهجة ومدروسة من سرقة التراث او تزييفه هي سياسة تهدف للسيطرة على هذه الارض ضمن مسلسل التهويد وسرقة تاريخ الشعب العربي الفلسطيني، ولتنفيذ المخطط الصهيوني لاقامة مشروع الدولة اليهودية من خلال تغيير المعالم الطبيعية وخصوصا في عمارة مدينة القدس حيث قامت بشق الانفاق والطرق تحت ساحة المسجد الاقصى بدعوى البحث عن الهيكل المزعوم، كما تم احراق جزء من المسجد الاقصى بما فيه منبر صلاح الدين الايوبي ، كما احرقت عدد من المراكز المسيحية الاثرية في القدس وسرقة تاج السيدة العذراء من كنيسة القيامة ،وكما حولت المتحف الفلسطيني الى مقر لدائرة الاثار الاسرائيلية بعد ان سرقت ما فيه من اثار كنعانية فلسطينية ، بالاضافة الى انها قامت بتدميروسرقة اثار وتراث مدن فلسطينية اخرى مثل بيت لحم والخليل ونابلس والتي تعتبر مدن لها تاريخ عريق يرجع الى القرن الخامس الميلادي،وكما اقرت الحكومة الاسرائيلية مؤخرا بادراج مادة التراث لتدريسها اجباريا في المدارس الاسرائيلية ،لما له من اهمية على وجودها على الخريطة السياسية والثقافية ، حيث تقدمت بطلب عام 1999م بتسجيل مجموعة من المواقع التراثية لدى لجنة التراث العالمي المعتمد من اليونسكو وقد وافقت على تسجيل جزء من هذه المواقع وكانت داخل الخط الاخضر ، وعلى اثر اجتماع وزراء الثقافة العرب الذي عقد في الرياض في عام 2000م حيث تقدموا بطلب الى منظمة اليونيسكو برفض طلب اسرائيل بتسجيل مواقع تراثية تعود الى الشعب الفلسطيني وبناء على ذلك قررت لجنة التراث العالمي عدم البت في الطلب الى اشعار اخر يحدد وضعية القدس .وعليه فانه ينبغي لنا كفلسطينيين وعرب ومسلمين ومسيحين ودول صديقة ان نعمل في كل الاتجاهات لمحاربة الانتهاكات الاسرائيليه ومواجهتها وتعريتها ،قبل كل ذالك لا بد اولا من توثيقها بكافة الوسائل والاشكال المتاحه بالتعاون مع الموسسات الرسمية وغير الرسمية ومؤسسات المجتمع المدني .وهناك دور هام في هذا السياق يقع على عاتق الحكومة والمؤسسات الرسمية للتسريع في اصدار التشريعات والقوانين التي تنظم وتحفظ وتساند جهات الاختصاص بالحفاظ على الموروث الثقافي والتاريخي الذي يحتاج الى توثيق ،واخص بالذكر هنا قانون الارشيف الوطني الفلسطيني ،حيث ان هناك مخزونا ضخما للتراث الفلسطيني يحتاج الى تدوين وتوثيق ،واذا تكاملت كل هذه الادوار والمسؤوليات والمهام فاننا نستطيع الوقوف في وجه سياسات التهويد والضم ومحاولات التزيف وسرقة التراث والثقافة ورموزها ان ما يحدث من ممارسات تؤدي الى تغيرات على التراث الشعبي الفلسطيني لا يمكن اعتبارها شئ طبيعي في تطور المجتمع ، بل هو نتاج لغزو ثقافي اثر على المجتمع الفلسطيني كما اثر على غيره من المجتمعات العالم وكان للكيان الصهيوني دور فعال في طمس معالم ثقافة وتراث وتاريخ هذا الشعب فهو يحارب بكل ما يملكه عن ارضه ، فنحن نحتاج الى خطة دفاعية ندافع بها عن ثقافتنا وتراثنا لنعزز هويتنا لاننا نعيش حالة حرب ثقافية.

النتائج وتوصيات:-

ليس التراث هو الماضي فقط بل هو الموروث الذي يصل الماضي بالحاضر والمستقبل ، وذالك من خلال الاجيال ،واذا كانت الهوية الثقافية هي القاسم المشترك بين الحضارات وبين ابناء الشعب الواحد والتي تميزه عن غيره من الشعوب ،فان التراث الشعبي هو العمود الفقري لهذه الهوية، ومن اجل تعزيز وضمان وجود هذه الهوية لا بد لنا ان نقوم بما يلي :-

1-جمع التراث الشعبي وتوثيقه الكترونيا من اجل الحفاظ عليه في ظل العولمه التي تحاول تشويه ومسح الهوية الوطنية وذالك بتظافر جهود المؤسسات الرسمية والغير رسمية وعدم الاتكال على الجهود الفردية .

2-تدريس مادة التراث الشعبي الفلسطيني في كل المراحل الدراسية من الابتدائي حتى المرحله الجامعية ،لما له اهمية في تعريف وتعزيز الهوية والشعور بالمسؤلية تجاه الثراث.

3-تشجيع الباحثين والاكاديمين في الجامعات الفلسطينية على كتابة الابحاث وعقد مؤتمرات واقامة معارض ونشاطات للتعريف بالتراث لتجسيد الهوية والمحافظه عليها .

4-اصدار مجلات ودوريات تهتم بنشر الابحاث والمقالات التي لها علاقة بالتراث والثقافة من اجل توثيق لتعزيز الهوية الفلسطينية .

5-اقامة ندوات ولقاءات حوارية في المؤسسات الثقافية من اجل تعزيز الهوية الوطنية ونشر الثقافة بين افراد الشعب .

في الختام : ان المحافظة على التراث الفلسطيني في وجه كل المحاولات الاسرائيلية المعادية لطمسه وسرقته وتزويره ، يعني ضمان الحفاظ على وجودنا واستمراريتنا وبقائنا على هذه الارض ،في اعتقادي انني قلت ما اود ان اقوله ،وما يجب فعله في سبيل الحفاظ على هذا الثراث بشكل فعال لتعزيز الهوية الوطنية يحتاج الى جماعة وليس الى فرد ،وان تجميع القدرات وتظافر الجهود تحقق الهدف المنشود وهو الحفاظ على تراثنا وثقافتنا وهويتنا .

اشكر لكم اصغائكم وسعة صدوركم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .